

عازف معلم وملحن يستقي ألحانه من فسيضاء الجزيرة السورية

سعيد يوسف: تجاوزت ألحاني الحدود ومعظم عازفي البزق في سورية ينتمون إلى مدرستي

بديع منير صنيح

«كنت أسمع أمير البزق محمد عبد الكريم من خلال إذاعة دمشق، وبت أتمنى أن أصبح يوماً مثله»، بهذه الكلمات يختصر الفنان سعيد يوسف شغفه بالعزف على آلة البزق، والدافع الأكبر وراء تمكنه من العزف عليها، وبالتالي تعلقه بها، ولذلك كان يعزف على آلة «الصاص» التي يسميها البعض «الطنبورة» وهي آلة تشبه البزق أتت من تركيا، حتى ذهابه يوماً عام 1967 إلى تسالونيك في اليونان لحضور حفلة، وهناك كان لقاؤه مع أول آلة بزق ستدخل منطقة القامشلي. يقول يوسف: «لفت نظري في تسالونيك محل لبيع الآلات الموسيقية يحتوي على الكثير من آلات البزق بنسبة 80% من عدد الآلات الموجودة في المحل، وقررت شراء إحداها ووجدت أن «دوساته» (مكان توضع الأصابع على الزند) غريبة تشبه الغيتار، فاضفت عليها عدداً من الدوسات وحولته إلى آلة شرقية تماماً، وكانت تلك الآلة أول بزق يدخل المنطقة الشمالية الشرقية من سورية، لذا ارتبط اسم آلة البزق في القامشلي باسمي».

لكن علاقة سعيد مع عزف البزق تمتد على فترات سابقة، فهو ينتمي إلى عائلة ذات اهتمامات موسيقية، وعندما كان طالباً اشترى آلة «طنبورة» بسعر خيس فقترب عليها كثيراً، ويوماً فآخر بدأ يتقدم في العزف مقلداً البعض عبر ما يسمعه من تسجيلات،



شكّل هذا العازف والملحن الجزائري

وكان قدوة أمير البزق محمد عبد الكريم، أما العامل المساعد له في تربيته على العزف فأرجعه إلى حسن صوته في الغناء. يحدثنا سعيد عن ذلك قائلاً: «كنت أغني ضمن المدرسة، وكانوا يثنون عليّ على صوتي بأنه جميل. غنيت للموسيقار فريد الأطرش وقليلاً لموسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب وأغني جملة لحنية وأتمرن الذي أحبه كثيراً. وعندما اشتريت آلة البزق بات صوتي يساعديني في التمرن الصحيح على الآلة، فكتبت أغني جملة لحنية وأتمرن كثيراً حتى أستطيع عزف ما يوازيها على البزق، إضافة إلى مثابرتي في كل لحن وكل جملة لحنية وكل مقام. حتى وصلت إلى ما وصلت إليه الآن. وأقولها بتواضع تام إن معظم عازفي البزق في سورية ينتمون إلى مدرسة سعيد يوسف في العزف».

أما مصدر ثقته، وإمكان أن يكون عازفو البزق منتقلين إلى مدرسة محمد عبد الكريم مثلاً أو مطر محمد أو غيرهما من العازفين الكبار على هذه الآلة، يوضح يوسف: «لاأظن أنهم يقدرون أسلوب أمير البزق، فأسلوبه غير دارج حالياً، إذ كان يدخل إلى إذاعة دمشق ويعزف نحو ثلاثة أرباع الساعة على أغنية «طبري با حمامة» يكرر فيها ويضيف عليها ضربة ريشة ويعيدها، ولا يبقية العازفين الكبار لأن اختيار مزاج العزف اختلف الآن عما كان سائداً في الماضي».

بعض التحريفات باللحن، أو مجرد إضافة

بعض التحريفات باللحن، أو مجرد إضافة

عرض تاريخي للإصلاح الديني... خروج بالعقل من الخرافة والخوف والجهل

الطريق لعصر الأنوار. لوثر وكالفن كانا ضروريين لتطور بيل ولوك. رغم عدم اكتمال عصر النهضة وبعثته بالعرف وعدم التسامح، إلا أنه كان يمثل مبادئ فكر ديني جديد. أما الحرية والديموقراطية بمفهومها الحديث، فتركا لحركة الأنوار الفرنسية والإنكليزية. ثم جاء بعد ذلك في القرن التاسع عشر عصر العلوم والتقدم بلا خوف لتواكبنا جميع الأمور المتصلة بحياة الإنسان. ما أريد قوله في هذا المقال هو أننا ننسب الحالة الأوروبية أيام العصور الوسطى، قبل عصر النهضة والإصلاح الديني. نحتاج إلى ثورة حقيقية وإصلاح جذري في الفكر الديني ينتشلنا من قاع المستنقع الذي نخوض فيه حتى آذاننا. قد ننتصر أمنيًا على قوى الظلام والظفر، لكن بذور الشر سوف تظل كامنة في قلب المجتمع تتحين الفرصة المناسبة لكي تصحو لتنهش في جسد الدولة من جديد.

التمرد ضد سلطة الكنيسة مع تزايد الشعور بالقومية، يجعلان من السهل التنقيب بالإصلاح الديني الذي قام به مارتن لوثر في ما بعد. بعد استشهاده هاس على المشنقة، أسس الأخوة البوهيميون، كما كانوا يسمون، ديناً جديداً يلتزم بالكتاب المقدس بدلاً من المؤسسة الكنسية. كانوا يرفضون السلطة المطلقة للبابا، وصكوك الغفران وإقامة القداس للاموات، وساثر البدع التي تخالف الإنجيل. استمرت هذه الجماعة الدينية تحت اسم «الكنيسة المورافية». أما الإصلاح الديني الذي أدى إلى شطر القديس لاماوت، وساثر البدع التي تخالف الإنجيل. استمرت هذه الجماعة الدينية تحت اسم «الكنيسة المورافية». أما الإصلاح الديني الذي أدى إلى شطر القديس لاماوت، وساثر البدع التي تخالف الإنجيل. استمرت هذه الجماعة الدينية تحت اسم «الكنيسة المورافية».

التمرد ضد سلطة الكنيسة مع تزايد الشعور بالقومية، يجعلان من السهل التنقيب بالإصلاح الديني الذي قام به مارتن لوثر في ما بعد. بعد استشهاده هاس على المشنقة، أسس الأخوة البوهيميون، كما كانوا يسمون، ديناً جديداً يلتزم بالكتاب المقدس بدلاً من المؤسسة الكنسية. كانوا يرفضون السلطة المطلقة للبابا، وصكوك الغفران وإقامة القداس للاموات، وساثر البدع التي تخالف الإنجيل. استمرت هذه الجماعة الدينية تحت اسم «الكنيسة المورافية». أما الإصلاح الديني الذي أدى إلى شطر القديس لاماوت، وساثر البدع التي تخالف الإنجيل. استمرت هذه الجماعة الدينية تحت اسم «الكنيسة المورافية».

التمرد ضد سلطة الكنيسة مع تزايد الشعور بالقومية، يجعلان من السهل التنقيب بالإصلاح الديني الذي قام به مارتن لوثر في ما بعد. بعد استشهاده هاس على المشنقة، أسس الأخوة البوهيميون، كما كانوا يسمون، ديناً جديداً يلتزم بالكتاب المقدس بدلاً من المؤسسة الكنسية. كانوا يرفضون السلطة المطلقة للبابا، وصكوك الغفران وإقامة القداس للاموات، وساثر البدع التي تخالف الإنجيل. استمرت هذه الجماعة الدينية تحت اسم «الكنيسة المورافية». أما الإصلاح الديني الذي أدى إلى شطر القديس لاماوت، وساثر البدع التي تخالف الإنجيل. استمرت هذه الجماعة الدينية تحت اسم «الكنيسة المورافية».

التمرد ضد سلطة الكنيسة مع تزايد الشعور بالقومية، يجعلان من السهل التنقيب بالإصلاح الديني الذي قام به مارتن لوثر في ما بعد. بعد استشهاده هاس على المشنقة، أسس الأخوة البوهيميون، كما كانوا يسمون، ديناً جديداً يلتزم بالكتاب المقدس بدلاً من المؤسسة الكنسية. كانوا يرفضون السلطة المطلقة للبابا، وصكوك الغفران وإقامة القداس للاموات، وساثر البدع التي تخالف الإنجيل. استمرت هذه الجماعة الدينية تحت اسم «الكنيسة المورافية». أما الإصلاح الديني الذي أدى إلى شطر القديس لاماوت، وساثر البدع التي تخالف الإنجيل. استمرت هذه الجماعة الدينية تحت اسم «الكنيسة المورافية».

التمرد ضد سلطة الكنيسة مع تزايد الشعور بالقومية، يجعلان من السهل التنقيب بالإصلاح الديني الذي قام به مارتن لوثر في ما بعد. بعد استشهاده هاس على المشنقة، أسس الأخوة البوهيميون، كما كانوا يسمون، ديناً جديداً يلتزم بالكتاب المقدس بدلاً من المؤسسة الكنسية. كانوا يرفضون السلطة المطلقة للبابا، وصكوك الغفران وإقامة القداس للاموات، وساثر البدع التي تخالف الإنجيل. استمرت هذه الجماعة الدينية تحت اسم «الكنيسة المورافية». أما الإصلاح الديني الذي أدى إلى شطر القديس لاماوت، وساثر البدع التي تخالف الإنجيل. استمرت هذه الجماعة الدينية تحت اسم «الكنيسة المورافية».



بوليوس الثاني

مارتن لوثر كينغ

جون ويكليف

جان لوك

جان لوك

جان لوك

سهرة الأسئلة والغياب

فيه بعدما تنتهي من وظيفتها. ترى، هل تكون لهذه الأجساد مراتب تعود إليها بعدما تنتهي من مهمتها؟

هل استخدم الوسيط جسداً آخر؟ عادت الفكرة تراود طارقاً. من أين جاء ذلك الجسد الأدمي الآخر الذي يمكن أن يخاطبك فلا تشك في أنه حقيقي ولكنه ليس حقيقياً. ليس حقيقياً؟ بلى، والدليل أن رجلاً آخر لبسه أو تخفى فيه؟ فهو إذن قناع. مجرد قناع. أو ربما علاقة فياب.

لكن هل يعقل أن يكون واحداً قابل مثل هؤلاء الأشخاص على الطريق. إنك تسكن في حي سنوات عدة ولكنك كثيراً ما تلتقي أشخاصاً يستوقفونك ويسألونك عن الوقت، وربما عن أقرب مكتب بريد أو موقف تاكسي أو أي سؤال يتعلق بالأمكنة والاتجاهات أو بعنوان قريب. هؤلاء الأشخاص لا تعود تراهم مرة أخرى. وقد يكون لأنهم زاروا الحي مرة لغرض ما حققوه أو لم يستطيعوا فينسوا وعادوا إلى ديارهم إلى حبيهم إلى بلدتهم، مدينتهم أو ربما إلى وطنهم. وربما كانوا أجانب أيضاً. وقد يكونون من مثل الجسد الذي لبسه الوسيط في قصة جميل. قد يكونون كمثل أجساداً لا حياة مستقلة لها بل هم يستعارون لمثل هذه المهمات كي لا يصاب بالعدم وهم يساهمون ويبتعد عنهم فلا يررد على سؤالهم ولا يسدهم الخدمة التي يرجونها. تصور جسداً مثل هذا يكون أشبه ما يكون بسيارة (أو أوتوبيس) ذات مراب تبيت في هذا المجال؟

بالتحدي والاستفزاز وهو لا يريد لها هاتين الصفتين مع جميل. فهذا الرجل يبدو طيباً وهو يريد أن يكسبه صديقاً. في تلك السهرة لم يعد الأربعة إلى الموضوع مرة أخرى. كانت سهرة لطيفة وقد شعر الجميع بذلك وعبروا عن هذه المشاعر حالاً، وكذلك في اليوم التالي عندما اتصلت سلوى زوجة جميل بخديجة زوجة طارق تشكرها على لطف المعاملة وعلى كل شيء.

بقية طارق يفكر في اليوم التالي بقصة جميل ثم أشرك زوجته بالحوار الذي أقامه مع نفسه وراح يطرح أسئلة: فلترض أن القصة صحيحة. هل كان الوسيط فعلاً في النبطية وبيروت في وقت واحد؟ وإذا افترضنا أنه كان فعلاً في النبطية باعتبار أنه غائب عن الوعي فلماذا كان يجري في بيروت، فهل كان أحد يراد في النبطية؟ ربما كان لديه وعي بأنه في النبطية، ولكن هل كان لدى النبطية وعي به؟ لقد رأى السائق ذا السنن المكسورة، ولكن هل رأى السائق؟ وهل يستطيع أن يتعرف إليه إذا رآه ثانية؟ يحدث أن يرى أحداً شخصاً ويظن أنه يعرفه من قبل، فهل تكون هذه حاله؟ هل يكون واحداً قد سافر في الحلم المغناطيسي إلى حيث رأى ذلك الرجل أم العكس؟ وهل جاءنا الرجل مسافراً في الحلم المغناطيسي؟

مهمة عاجلة. بدلاً من أن تعطى رقم الهاتف أو التلكس فحسب اعط عنوانك الواضح وكيف يمكن الوصول إليه تماماً، وبدلاً من التلكس أو الهاتف اكتب وسيطاً أو عالماً نفسانياً. من يشك في أن مؤلفين مثل هذين لن يكلفا أقل من خدمة الهاتف والتلكس. ربما أمكن في ما بعد أن تعد الصوف والدروس الخاصة للوسطاء وكيفية تجوالهم في العالم. ستكون هناك فحسب مشكلة الوقت إذا أردت أن تتصل بالشرق الأوسط وانت في لندن. كان عليك أن تنتظر موعد إقلاع طائرة إلى هناك وترسل وسيطك عبر النوم، وأنت تنتظر خمس ساعات أو ستاً وربما عشر ساعات. لا، لا، هذه ساعات طريقة اقتصادية. لا شك أن أحداً بحث هذه القضية من قبل وإذ تبين له أن فيها هنأت وغرلاً يمكن سدها تخلى عن الخطط كلها. يستطيع واحداً أن يلهو بخاطرة وسؤال: ماذا لو سقطت الطائرة التي عليها الوسيط النائم؟ هل ينجو؟ هل يمكن أن تتعرض حياته للخطر؟ لم تخطر هذه الخواطر على بال طارق للتو، فلو شخص معتدل ويكره هذه الصفة عنده ولكنه يعرف أنها جزء منه. ولذلك فهو لم يعلق على القصة ولم يلق أسئلة إضافية استيضاحية. كان يشعر بأن أسئلته ستستف